

ملخص خطبة الجمعة

يتابع حضرته نصره الله حديثه للجمعة الثانية عن حضرة سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

واقعة اليرموك: حدثت في العام الخامس عشر الهجري وهي أكبر معركة في الشام، حيث جاء الرومان بقيادة باهان بربع مليون مقاتل في الميدان. بينما كان عدد أفراد الجيش الإسلامي ثلاثين ألف نفر تقريبا، منهم ألف من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وقرابة مائة من البدرين. أرسل قائد الجيش الرومي باهان رسوله جورج إلى الجيش الإسلامي، فلما وصل إليهم كانوا يصلون صلاة المغرب فتأثر كثيرا بخشوعهم وخضوعهم لله في السجدة. ثم طرح على سيدنا أبي عبيدة عددا من الأسئلة، منها ما هو اعتقادكم في عيسى عليه السلام فقرأ سيدنا أبو عبيدة آية: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (النساء: ١٧٢-١٧٣)

فحين سمع جورج هذا التعليم القرآني صرح بأن هذه هي صفات المسيح بلا شك، وأن رسولكم صادق، فأسلم. ثم دعا سيدنا أبو عبيدة الجيش المسيحي إلى الإسلام، وأخبرهم عن المساواة والأخوة والأخلاق الإسلامية، وفي اليوم التالي توجه إليهم سيدنا خالد، لكنه لم يسفر عن أي نتيجة وبدأ الاستعداد للحرب.

فتقدم جيش العدو كموج البحر، وكان قوامه ربع مليون مقاتل، وكان المسلمون ثلاثين ألفاً فقط، فبدأ القتال، وفي البداية كانت كفة الرومان راجحة، حيث دفعوا المسلمين إلى الوراء، فقتل كثير من الصحابة وضاعت عيون عدد منهم. فحين لاحظ ذلك عكرمة ابن أبي جهل الذي كان قد أسلم يوم فتح مكة وكان قد طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يوفقه لتدارك ما فات، جاء مع بعض رفاقه إلى سيدنا أبي عبيدة وقال له: لقد سبق أن الصحابة قدموا خدمات كثيرة وجليلة، الآن نرجو أن تتاح لنا المتأخرين الفرصة لنيل الثواب، فسوف نشن الهجوم على قلب الجيش ونقتل القادة المسيحيين. فأذن له سيدنا أبو عبيدة نظرا لإصراره. فأغار على مركز الجيش فهزموهم، واستشهد قرابة ثلاث آلاف من المسلمين.

إن أهل الشام كانوا أتباع أديان مختلفة، وكان هناك اختلاف في الألسنة والشعوب. فأقام أبو عبيدة بن الجراح بينهم العدل والمساواة وأعاد الأمن والسلام الداخلي وأعطى الجميع حرية دينية ونفخ فيهم روح الإسلام وقال جميعكم بني آدم والجميع إخوة ولا فرق بينكم كبشر. وبسبب جهود أبي عبيدة رضي الله عنه دخل الإسلام العرب المقيمون في الشام

الذين كانوا أتباع المسيحية، أسلموا بالدعوة وليس بالقوة، وبرؤية النماذج الحسنة للمسلمين، وبالإضافة إلى ذلك آمن الروميون والمسيحيون أيضا متأثرين بأخلاقه.

وقبل فتح اليرموك بأيام توفي أبو بكر رضي الله عنه وانتخب عمر رضي الله عنه خليفة، فولّى أبا عبيدة رضي الله عنه إمارة الشام وقيادة الجيوش، وحين وصلت أبا عبيدة رسالة عمر بهذا التعيين كانت الحرب على ذروتها لذا لم يظهرها أبو عبيدة، ولما علم بها خالد بن الوليد -الذي كان قائد الجيش حينها- سأله لماذا أخفيت ذلك، فقال أبو عبيدة: ذلك لأننا كنا مقابل العدو ولم أرد كسر قلبك. وحين انتصر المسلمون وأراد معكسر خالد بن الوليد العودة حبس أبو عبيدة خالدا عنده لبعض الوقت، وحين انطلق خالد خاطب الناس قائلا: لتسعدوا لأن أمين الأمة أميركم، يعني أبا عبيدة، فقال أبو عبيدة: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن خالدا سيف من سيوف الله. باختصار انفصل هذان القائدان عن بعضهما في جوّ الحب والاحترام، هذه هي تقوى المؤمن الخالية من إبراز الاسم والرياء وحبّ المنصب والإمارة، وإذا كان ثمة هدف فهو نيل رضی الله وإقامة ملكوت الله في العالم، فهؤلاء الناس هم الأسوة الحسنة لنا، ويجب على كل مسؤول في الجماعة بل على كل أحمدي أن يضعها أمام عينيه.

فتح بيت المقدس وله أيضا صلة بأبي عبيدة رضي الله عنه، تقدم جيش المسلمين تحت قيادة عمرو بن العاص إلى فلسطين وحين حاصر بيت المقدس بعد فتوح مدن فلسطين التحق بهم جيش أبي عبيدة أيضا. سئم النصارى من التحصن وطلبوا الصلح واشتروا أن يتولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه عقد الصلح، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب برغبة النصارى هذه، فأمر عمر رضي الله عنه عليّا على المدينة خلفه وخرج في ربيع الأول ١٦ للهجرة.

محاولة الروم لاسترداد الشام من المسلمين في ١٧ للهجرة، كتب أبو عبيدة رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه للمدد فأمر عمر سعد بن ابي وقاص بإرسال جيش من الكوفة لإمداده، فأرسل سعد كتيبة في إمارة القعقاع بن عمرو من الكوفة، ولكن مع ذلك كان جيش الروم كبير جدا مقابل جيش المسلمين، فألقى أبو عبيدة خطابا حماسيا لجنوده وقال: يا أيها المسلمون الذي ثبت اليوم وبقي ينال الملك والمال والذي استشهد ينال الشهادة وأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات وهو ليس مشركا دخل الجنة حتما. وبدأت الحرب بين الفريقين وما لبثت أن تزلزلت أقدام الروميين وهربوا حتى مرج الديباج وهو وادٍ جبلي يبعد عن مدينة مسيسة بحدود الشام بعشرة أميال، ولم يتجرأ القيصر على مهاجمة الشام بعد ذلك.

طاعون عمواس: ورد تفصيله في رواية لصحيح البخاري عن ابن عباس قال: إن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد؛ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فبعد المشورة أعلن سيدنا عمر بين القوم الرحيل. فسأله أبو عبيدة رضي الله عنهما: هل الفرار من قدر الله ممكن؟ فقال له عمر: ليت غيرك قال هذا! نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله.

فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان غائبا لبعض شأنه، فقال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم نفثي وباء في مكان فلا تذهبوا إليه، وإذا نفثي في مكان إقامتكم فلا تفروا منه إلى مكان آخر. فشكر سيدنا عمر ربه ورجع.

حين وصل عمر رضي الله عنه المدينة كتب إلى أبي عبيدة رسالة أن لي بك حاجة مهمة فتعال إلى المدينة فور تلقيك الرسالة، قرأ أبو عبيدة الرسالة وقال: رحم الله عمر، فهو يريد إبقاء ما ليس باقيا. أصيب أبو عبيدة رضي الله عنه بالطاعون وتوفي به في الثامن عشر من الهجرة عن عمر يناهز ٥٨ عاما. وعندما احتضر أبو عبيدة قال للناس ما معناه: أوصيكم بوصية لو عملتم بها لنفعتكم وهي: أن أقيموا الصلاة وأدوا الزكاة وصوموا رمضان وتصدقوا وحجوا واعتصموا وأمروا فيما بينكم بالمعروف واستوصوا بأمرائكم خيرا ولا تخدعوهم. ألا لا تجعلنكم النساء غافلين عن واجباتكم. لو عاش الإنسان ألف عام فهو راحل من الدنيا يوما من الأيام على أية حال كما أنني راحل. لقد قدر الله الموت لبني آدم فكل إنسان ميت، والعاقلة من يستعد للموت. بلغوا سلامي إلى أمير المؤمنين وقولوا له أنني دفعت الأمانات كلها. ثم قال: أدفنوني هنا بحسب قراري. وهذا المكان موجود في وادي بيسان في أرض الأردن.

لقد عين أبو عبيدة في مرضه الذي توفي فيه معاذ بن جبل في مكانه. وعندما توفي أبو عبيدة قال الناس: لقد فارقتنا اليوم رجل لم نر أظهر منه قلبا وأنزه منه من الضغينة وأكثر منه حبا للناس ومواساة لهم، فادعوا الله تعالى أن يرحمه. ذات مرة بعث عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة أربع آلاف درهم وأربع مئة دينار وقال لرسوله: أنظر ما الذي يفعله بها أبو عبيدة. فعندما أوصل الرسول المال إلى أبي عبيدة وزعه كله على الناس. فلما عاد الرسول وقص القصة كلها على سيدنا عمر رضي الله عنه شكر الله تعالى على أنه خلق في الإسلام أمثال أبي عبيدة.

ذات مرة قال عمر رضي الله عنه أتمنى أن يمتلئ هذا البيت برجال مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة بن اليمان.

بعد الصلاة صلى حضرته صلاة الغائب على بعض المرحومين، أولهم الشهيد الأستاذ الدكتور نعيم الدين ختك بن فضل الدين ختك من سكان محافظة بشاور بباكستان الذي قتله الأعداء بإطلاق الرصاص عليه في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر بتاريخ ٥/١٠/٢٠٢٠م. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان الشهيد عائدا إلى بيته من الكلية (كلية العلوم العليا) التي كان يدرس فيها حوالي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر إذ لاحقه شخصان على الدراجة النارية وأطلقا عليه الرصاص وأرداه شهيدا.

كان الشهيد بالغا من العمر ٥٦ عاما عند الشهادة ومرتبطا بقسم التعليم منذ ٢٥ عاما. حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من "جامعة القائد الأعظم" وحاز على المنحة وسافر إلى الصين وحصل هنالك على شهادة الدكتوراه في البيولوجيا البيئية الدقيقة. وبعدها خدم أستاذا في كلية الجامعة الإسلامية في بشاور. وكان ضمن اللجنة التي

بحري مقابلات الطلاب في امتحان الدكتوراه. كانت الدوائر العلمية المختلفة في باكستان تدعوه لإلقاء المحاضرات. فظل يعمل في سلك قسم التعليم معظم فترة حياته.

الجنيزة الثانية هي للعزير أسامة صادق الذي كان طالبا في الجامعة الأحمديية بألمانيا وقد مات غرقا في نهر "رائن" في ألمانيا قبل بضعة أيام. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان المرحوم بالغا من العمر عشرين عاما عند الوفاة. يقول سكرتير التربية الوطني في ألمانيا أن العزير أسامة كان يتحلى بمزايا كثيرة، بما فيها حبه للاشتراك في نشاطات تبشيرية. يقول الداعية صهيب ناصر الذي تخرج من الجامعة الأحمديية في ألمانيا بأن المرحوم كان أصغر مني بأربعة سنوات في الجامعة إلا أنه كان نموذجا لي. لقد رأيتة دائما في الصف الأول من المسجد، حيث كان يأتي قبل الصلاة بوقت ويؤدي النوافل. ثم كان ينشغل بالذكر الإلهي بعد أداء الصلاة، غفر الله له ورحمه ورفع درجاته وألهم الصبر والسلوان لوالديه وإخوته.

والجنيزة الثالثة للسيد سليم أحمد ملك وافته المنية في ٢٤ سبتمبر الفائت عن عمر يناهز ٨٧ عاما. إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد وفق المرحوم من البداية لخدمة الجماعة في بريطانيا في شعب كثيرة، فقد تم تعيينه سكرتيراً للتعليم والتربية، كما ظل يخدم بوصفه سكرتيراً لأمرور الخارجية فترة طويلة. ثم عمل كثيرا في شعبة العلاقات الدولية. لقد رافق لجنة حقوق الإنسان مرتين إلى باكستان. هناك معرض دولي كبير يقام سنويا في مختلف بلاد العالم، ووفق المرحوم ملك سليم في عام ١٩٩٢ لإقامة جناح الجماعة وتنسيقه في هذا المعرض في بريطانيا وكذلك في إسبانيا. لقد أقام الخليفة الرابع رحمه الله تعالى في عام ١٩٩٧ لجنة لإنشاء الجامعة الأحمديية في بريطانيا وجعل السيد سليم ملك عضواً فيها. وعند بدء الجامعة الأحمديية في بريطانيا تم تعيينه كمدير أعلى لها وظل يؤدي هذه المسؤولية حتى ١٣ نوفمبر ٢٠٠٥. ثم وفق لتعليم طلاب الجامعة الأحمديية في بريطانيا مادة اللغة الإنكليزية والتاريخ واستمر ذلك إلى وفاته. كان المرحوم صالحاً متديناً ومواظباً على الصلوات والصيام، ومتودداً إلى الناس ومحباً لهم، وكان داعياً إلى الله بالقول الحسن، وكان مضيافاً ومحباً للخلافة ومحافظاً على العلاقة معها بكل إخلاص ووفاء.

لقد ترك خلفه زوجته وثلاث بنات وكثيراً من الأحفاد والحفيدات. كان شخصية علمية كبيرة. كان سابقاً في مجال الإخلاص والوفاء، وكان مستعداً دائما لخدمة الجماعة. كان على علاقة بارزة مع الخلافة وكان يكن لها تقديراً عظيماً.

ولما كان يخدم بوصفه سكرتيراً لأمرور الخارجية أقام علاقة حميمة ووثيقة مع اللورد أيرري، ومن خلاله أنشئت صلة الجماعة مع اللورد أيرري. كما كان لملك سليم دور كبير في تنسيق زيارتي الأولى للبرلمان البريطاني. غفر الله له ورحمه ووفق ذويه وأولاده وذريتهم أيضا للارتباط بالخلافة والجماعة بالإخلاص والوفاء. سأصلي صلاة الغائب عليهم جميعاً بعد صلاتي الجمعة والعصر.